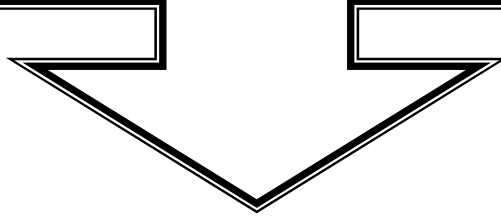


٢ - ج - ٢ : الوحدة الثانية

عصر صدر الإسلام



١ / أثر الإسلام في الحياة العربية

نقل الإسلام الأمة العربية كلها من جاهلية مغرقة في الضلال الروحي ، والتخلف الفكري والتشتت الاجتماعي . نقلها كلها نقلة هائلة في زمن قصير لم يحدث من قبل في تاريخ أمة من الأمم في هذه الأرض .

فمن الوثنية الضالة ذات العقيدة الفاسدة التي تتعبد للشجر والحجر والحيوان ، نقلهم إلى الوحدانية التي تتجه إلى الله وحده بالعبادة ، والاستسلام له استسلاماً كاملاً ، وكلمة الإسلام في معناها اللغوي : (إظهار الخضوع) .

أما المعنى الاصطلاحي فقد شرحه الرسول ﷺ : " الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً " .

وبذلك صار الأساس الذي وضعه الإسلام للحياة الدينية في العصر الجاهلي هو التوحيد الخالص والخضوع التام لله عز وجل .

وإذا كان العرب قد أنكروا أول الأمر هذا الإسلام والتوحيد فقالوا : " أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب " فإنهم قد انقادوا بعد ذلك انقياداً جعلهم يقودون العالم القديم كله إلى عبادة الله الواحد وطهر الإسلام العرب من الموبقات التي كانوا يتردون فيها كلهم أو بعضهم ، فالخمر والميسر ، والزنا ، والقتل ، وبعض الأنكحة الفاسدة ، طهر الإسلام المجتمع منها ، فطهرت نفوسهم وصفت ، وتفجرت فيهم ينابيع الخير والفتنة والذكاء ، فصاروا ساسة الدنيا وقادتها .

لقد عدل الإسلام ميزان الحياة الاجتماعية عندما فرض نظاماً اقتصادياً لم تعرف له البشرية قبل ذلك مثيلاً وهو الزكاة .

فقرَّب به الشقة بين الطبقتين المعروفتين في كل مجتمع طبقة الفقراء وطبقة الأغنياء ، بل محا هذه الشقة ففي عهد أمير المؤمنين ، الخليفة الراشدي الخامس عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال أحد العاملين على الزكاة : (بعثني عمر عبد العزيز على صدقات إفريقية فاقتضيتها وطلبت فقراء نعطيها لهم فلم نجد بها فقيراً ، ولم نجد من يأخذها مني ، فقد أغنى عمر عبد العزيز الناس) .

وجدّد الإسلام مناسك الحج ومما شأها من الشرك ، فصار الحج مؤتمراً سنوياً عالمياً يلتقي فيه المسلمون من كل أرجاء العالم القديم والجديد ، يناقشون فيه قضاياهم ، ويتبادلون فيه منافعهم .

لقد أحدث الإسلام تحولاً كبيراً في العقلية العربية فأنقذها من السحر والشعوذة والدجل إلى التفكير السليم ، وإن القارئ للقرآن تجذب انتباهه كثرة الكلمات الداعية إلى التدبر والتفكير والتذكر والتعلم ، ويكفي أن نشير إلى أن كلمة (عقل) ومشتقاتها وردت في القرآن الكريم تسعا وأربعين مرة ، وأن كلمة (الألباب) وتعني (العقول) وردت ست عشرة مرة ، أما كلمة (العلم) ومشتقاتها فقد تجاوزت الثمانمائة مرة .

كل ذلك يدل على التحول الكبير الذي طرأ على العقلية العربية بتأثير الإسلام .



٢ / أثر الإسلام في اللغة العربية

ظلت اللغة العربية عصوراً طويلة محصورة في شبه الجزيرة العربية لم تتجاوزها إلى غيرها من البلاد المجاورة .

أما ما كان يقوم به بعض التجار والشعراء والوفود من الارتحال إلى بعض المناطق التي تقع على أطراف شبه الجزيرة شرقاً وشمالاً وجنوباً ، فإن تلك الرحلات لم تترك أثراً لغوياً في تلك المناطق .

كما أن الرحلات من المناطق المتاخمة لشبه الجزيرة لم تتعد مجيء بعض الأفراد تجاراً أو مبشرين نصارى أو أسرى ، فلم تكن هناك هجرات واسعة - بعد الهجرة اليهودية إلى يثرب وشمال الحجاز بحيث تترك أثراً كبيراً في اللغة العربية سوى تلك الكلمات القليلة التي تسربت إلى اللغة العربية من الفارسية والرومية والحبشية وحتى تلك الكلمات استطاعت العربية أن تصبها في قالبها ، وتخضعها لقوانينها الصوتية والصرفية وهي ما سماه علماء العربية (المعرب) . ثم جاء الإسلام فأحدث تطوراً هائلاً في الفرد والمجتمع ، في النفس والفكر ، ظهرت آثاره واضحة في اللغة .

إن أثر الإسلام في اللغة يمكن تلخيصه في النقاط التالية :

١ / العالمية :

خرج المسلمون من عزلتهم تلك يحملون كتاب الله الذي أنزل بلغتهم باللسان العربي المبين ، ويحملون معهم آدابهم وحكمهم وأمثالهم وخطبهم ، خرجوا بكل ذلك إلى الدول المجاورة، إلى فارس والعراق والشام ومصر وشمال إفريقيا ، حيث كانت تسيطر اللغات الفارسية والرومية والآرامية والسريانية ، فدخل في الإسلام من تلك الأمم من دخل ، واستظل بظل الدولة الإسلامية من بقي على دينه

ولم يمض وقت طويل حتى ظهرت اللغة العربية على تلك اللغات التي أخذت تتضاءل شيئاً فشيئاً ، وحلت اللغة العربية محلها في التخاطب والكتابة . وما ذلك إلا بفضل الإسلام الذي بسط اللغة العربية في رقعة واسعة من العالم القديم تمتد من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب ، ولم يكد القرن الأول الهجري ينصرم حتى كانت اللغة العربية قد دخلت أوروبا عن طريق الأندلس .

من كل ذلك يتضح أن أثر الإسلام في اللغة العربية أنه جعلها لغة عالمية بعد أن كانت لغة محلية متروية في الصحراء ، كان من الممكن أن تنقرض وتزول لولا مجيء الإسلام ، يقول أحد المستشرقين : (بفضل القرآن بلغت اللغة في الاتساع مدى لا تكاد تعرفه أي لغة أخرى من لغات الدنيا) .

٢/ الخلود :

لا توجد اليوم لغة في العالم احتفظت بخصائصها الصوتية والتركيبية والدلالية والصرفية على مدى أكثر من قرنين من الزمان مثل ما احتفظت العربية إن أي تلميذ صغير في أي بلد يتكلم أهله العربية يستطيع أن يقرأ سورة من سور القرآن الكريم فيتقن أصواتها ويفهم معانيها ، كما يستطيع أن يقرأ حديثاً للرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه فيحفظه كما نطقه الرسول ﷺ ويفهم من معانيه ما يسعفه به عقله الصغير . مع أن الذي يفصله عن القرآن والحديث أكثر من ألف وأربعمائة عام من هجرة المصطفى ﷺ . بينما يقول الذين يعرفون الفرنسية إن بعض مذكرات وكتابات الساسة والأدباء الفرنسيين التي كتبت منذ مائة عام تقريباً فإنها في حاجة إلى من يترجمها إلى اللغة الفرنسية المعاصرة لكي يفهمها الفرنسيون .

إن السر في خلود اللغة العربية على الرغم مما مرت به من محن وكوارث كانت كقيلة بأن تمحوها من الوجود الإنساني محواً ، إن السر في خلودها يعود إلى الإسلام في كتابه الكريم .

٣/ توحيد اللهجات العربية :

كانت شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام تموج بعدد كبير من القبائل منتشرة في وسط الجزيرة وفي شمالها وشرقها وجنوبها . أرى عددها على أكثر من ألف قبيلة كلها تتحدث اللغة العربية ، ولكن باللهجات مختلفة فلكل قبيلة أو مجموعة من القبائل لهجة تختلف قليلاً أو كثيراً عن لهجات القبائل الأخرى .

كانت هناك عدة عوامل أدت إلى توحيد لهجات القبائل العربية قبل الإسلام ، من هذه العوامل:

١/ الحج :

حيث كان العرب يجتمعون في مكان واحد فيتحدثون ويؤدون الشعائر باللهجات متقاربة ، ويخالطون قريش ، ويسمعون لهجتها التي هي أفصح اللهجات .

٢/ الأسواق :

كانت هناك مجموعة من الأسواق منتشرة في شبه الجزيرة يفد إليها العرب فيبيعون ويشترون ، ويتبادلون المنافع ، وينشدون الأشعار والخطب ، ويفادون الأسرى ، فكان الشعراء والخطباء يتكلمون بلهجة مشتركة ، انمحت منها خصائص اللهجات الصوتية والدلالية .

٣/ القرآن الكريم ولهجة قريش :

يعد القرآن الكريم أكبر العوامل التي أثرت في اللغة العربية وقد نزل القرآن بلهجة قريش التي هي أرقى اللهجات العربية وأفصحها ، لأنها لغة سهلة واضحة ولأن قريشاً كانت تتخير من لغات العرب الوافدين عليها في موسم الحج أحلاها معني وأعذبها جرساً . وقد اجتمع المسلمون كلهم على تلاوة القرآن الكريم حتى الذين لم تكن اللغة العربية لغتهم ، فترك ذلك أثره في اللغة .



٣/ الشعر في عهد النبي ﷺ

إن الشعراء الذين أسلموا وسمعوا القرآن وقرعوه لانت ألسنتهم به ، وفقهت قلوبهم معانيه، إن هؤلاء الشعراء أمثال عبد الله بن رواحه ، وحسان بن ثابت ، وكعب بن زهير ، وكعب بن مالك كانوا أوائل الشعراء الإسلاميين ، وهم الذين مهدوا طريق الشعر الإسلامي لمن جاء بعدهم من شعراء المسلمين . وقد ظهرت المعاني الإسلامية والألفاظ الإسلامية في شعرهم .

موضوعات الشعر في عهد الرسول ﷺ :

دارت موضوعات الشعر في هذا العهد حول أشياء هي :

١/ الفخر :

فخر شعراء المسلمين بقوتهم وانتصارهم على أعدائهم . يقول حسان بن ثابت الأنصاري في موقعة بدر : إنهم - أي المسلمون - معتصمون بحول الله ، فلذلك لا يخشون الكفار مهما كانت كثرتهم ، ومهما جمعوا ، لأن الله تعالى سيكفينا شرهم ، ثم لأننا أسرعنا إلى بدر لا يثينا الخوف من الموت لأننا توكلنا على الله على الرغم من أننا كنا قليلين وكان المشركون كثيرين .

قال :

- | | |
|-----------------------------|------------------------------|
| ١/ فما نخشى بحول الله قوماً | * وإن كثروا وأجمعت الزحوفُ |
| ٢/ إذا ما ألبوا جمعاً علينا | * كفنانا حدّهم ربُّ رءوفُ |
| ٣/ سمّونا يومَ بدر بالعوالي | * سراعاً لا تُضعضُنا الحتوفُ |
| ٤/ لقبناهم بما لمّا سمّونا | * ونحن عصابة وهم أوفُ |

اللغة :

الكلمة	معناها
الزحوف	جمع زحف : الجماعة يزحف بعضهم إلى بعض في الحرب
ألبوا	جمعوا مجموعهم
حدهم	بأسهم وشدتهم
العوالي	جمع عالية : ويراد بها هنا الرماح
لا تضعضنا	لا تذلنا ولا تنقص من شجاعتنا
الحتوف	جمع حتف وهو الموت
العصابة	الجماعة .

المعنى :

- ١/ إننا لا نخاف من الأعداء مهما كثروا ، لأن الله سبحانه وتعالى معنا بحوله وقوته .
 ٢/ إذا كان المشركون قد جمعوا جمعهم ، وجاءوا لمحاربتنا ، فإن الله سبحانه وتعالى قد كفانا شرهم إن الله رءوف رحيم بالمؤمنين .
 ٣/ لقد سرنا إليهم في يوم بدر مسرعين ، لا تذلنا السيوف ولا ينقص من شجاعتنا الموت .
 ٤/ لقد واجهنا المشركين في تلك الحرب ونحن جماعة قليلة من المؤمنين بالله ورسوله ، والمشركون كثيرون يبلغون الألف .

ويفتخر كعب بن مالك الأنصاري^(١) قائلاً :

- ١/ ألا هل أتى غسانَ في نأي دارها * وأجدرُ شيء بالأُمورِ عليهما
 ٢/ بأن قد رمتنا عن قسيِّ عداوة * معدَّ معاً جهالها وحليما
 ٣/ لأننا عبدنا الله لم نرَجَّ غيره * رجاءَ الجنان إذ أتانا زعيما
 ٤/ فساروا وسرنا فالتقينا كأننا * أسودَّ لقاء لا يُرجى كليما
 ٥/ ضربناهم حتى هوى في مكرنا * لمنخرٍ سوءٍ مبنٍ لؤي عظيمها
 ٦/ فولوا ودسناهم بيضٍ صوارمٍ * سواءَ علينا حلفها وصميمها

اللغة :

الكلمة	معناها
غسان	دويلة في الشام أصلهم من اليمن
القسي	جمع قوس ، والقوس من آلات الحرب المعروف ويجمع على أقواس وقسي .
معدّ	هو معدّ بن عدنان جد قريش الأعلى
يريد بجهاؤها وحليما	سفاؤها وعقلاؤها
زعيما	رئيسها ويقصد به هنا رسول ﷺ
كليما	جريحها
المكرّ	المكان الذي تدور فيه الحرب
المنخر	الأنف ، ويريد به (منخر سوء) المذلة والهوان
لؤي	جد من أجداد قريش ، المراد قبيلة قريش .
البيض	السيوف
صوارم	قاطعة
حلفها	من حالفها من العرب
صميمها	قريش نفسها

(١) كعب بن مالك بن عمرو أنصاري خزرجي صحابي جليل ، من شعراء رسول ﷺ ، يتميز شعره الإسلامي بالقوة والحماسة للدين ، شهد مع النبي ﷺ كثيراً من غزواته عاش قريباً من ثمانين عاماً . توفي سنة ٥٠هـ - ٦٧٠ م .
 الأعلام ٥ / ٢٢٨ .

المعني :

- ١/ يخاطب ملوك غسان وأهلها ، ويسألهم هل جاءهم نبأ تلك الحرب التي دارت بين المسلمين والمشركين في بدر ، لأن أخبارها قد طبقت البلاد شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ، لأنها كانت حرباً فاصلة بين الحق والباطل ، فلا بد أن يكون خبرها قد بلغكم يأهل غسان ، لأن العارفين بالحروب قد عجبوا منها ونشروا أخبارها في كل مكان .
- ٢/ إن المشركين من قريش قد عادونا وحاربونا كلهم فقد اجتمع على حربنا العقلاء والجهلاء من المشركين .
- ٣/ وسبب عدوانهم لنا أننا عبدنا الله وحده ونبذنا عبادة الأوثان ، ولم نلتجئ في حياتنا إلى غيره لأن النبي ﷺ قد أخبرنا بأن من يقتل في سبيل الله جزاؤه عند ربه الجنة .
- ٤/ لقد ساروا إلينا مثل الأسود الضارية ، وسرنا إليهم ونحن أيضاً مثل الأسود فكأننا نحن وهم أسود التقى بعضها ببعض ، أسود إذا جرحت أحداً فلا يرجى له شفاء .
- أن الشاعر هنا وصف أعداءه بالشجاعة والقوة ليقول بعد ذلك إننا انتصرنا عليهم وقتلنا فرسانهم ، وهذا النوع من الشعر الذي يصف فيه الشاعر أعداءه بالشجاعة يسمى (المنصفات).
- ٥/ يصل الشاعر إلى نتيجة المعركة ، معركة بدر فيقول : إننا ضربناهم بالسيوف فسقط زعماءهم قتلى أذلاء .
- ٦/ ثم هربوا بعد أن قاتلناهم ، ولم نفرق في قتلهم بين المولى منهم والأصيل .
- وهناك نوع آخر من الفخر بالإسلام وموازرة الرسول ﷺ وطاعته في كل ما أمر به ونهي عنه والدفاع عنه بأنفسهم وبأولادهم وبمآلهم .
- قال حسان بن ثابت :**

١/ فلما أتانا رسولُ الملِكِ	* بالنورِ والحقِ بعدَ الظلِّمِ
٢/ رَكْنَا إِلَيْهِ ولم نعصه	* غداةَ أتانا من أرضِ الحرمِ
٣/ وقلنا: صدقتَ رسولُ	* الملِكِ هَلُمَّ إلينا وفينا أقمِ
٤/ فنشهدُ أنك عبدُ الملِكِ	* أرسلتَ نوراً بدينِ قَيمِ
٥/ فناد بما كنتَ أخفيته	* نداءً جهاراً ولا تكتمتِ
٦/ فإننا وأولادنا جنةُ	* نقيك وفي مالنا فاحتكمِ
٧/ فنحنُ ولاتكُ إذ كذبوك	* فناد نداءً ولا تحتشمِ
٨/ فطارَ الغواةُ بأشباعهم	* إليه يظنون أن يحترمِ
٩/ فقمنا بأسيافنا دونهُ	* نجالدُ عنه بغاةَ الأممِ

اللغة :

الكلمة	معناها
ركننا	ملنا إليه
أرض الحرم	مكة المكرمة
هلم	أقبل إلينا ، تعال إلينا
قيم	مستقيم لا عوج فيه
لا تكتتم	لا تكتم
جنة	بضم الجيم : وقاية وحماية
احتكم	اطلب ما تشاء
لا تحتشم	لا تستح
الغواة	جمع غاو : الضال
أشياعهم	جماعاتهم
تخترم	تقتل الاخترام القتل
نجد	نقاتل .

المعني :

- ١/ يقول حسان : إن الرسول ﷺ عندما جاء إلينا مهاجراً من مكة ، جاءنا بالهدى والنور وأخرجنا من ظلمات الشرك والجهالة إلى نور الإسلام .
- ٢/ فلما جاءنا تبعناه وأطعناه ، ولم نعص له أمراً .
- ٣/ وقلنا له : صدقت أيها الرسول الكريم المرسل من عند الله ، فتعال إلينا وأقم بيننا .
- ٤/ لأننا نشهد أنك عبد الله ورسوله ، أرسلك إلينا بالدين الصحيح المستقيم .
- ٥/ ادع إلى الله بيننا وأعلن كلمة الله إلى الناس ، وإذا كان أهل مكة المشركون قد منعوا المسلمين من إعلان كلمة التوحيد فأنت هنا في أمان فأعلن ولا تكتم شيئاً مما أمرك الله به .
- ٦/ إننا وأولادنا موالون لك ، ونحن حماةك ونحن الذين نقيك من كل سوء ، وهذه أموالنا فخذ منها لنصرة الدين ما تشاء .
- ٧/ إننا موالون لك وقد صدقتك عندما كذبتك المشركون ، فقل ما تشاء ، وما أمرك به ربك .
- ٨/ لقد ظنّ المشركون ، عندما ائتمروا عليك أنهم سيقتلونك ، ويمحون نور الله ، لقد خاب ظنهم .
- ٩/ نحن الأنصار حمينا رسول الله بسيفنا ودافعنا عنه ، وحاربنا من أجل الدين الذي جاء به حاربنا الأمم فانتصر الدين .

٢/ المدح :

الثاني من موضوعات الشعر في عهد الرسول ﷺ المدح . لقد اقتصر المدح في هذا العهد على مدح الرسول ﷺ لأنه لم يكن هناك من يداي الرسول أو يساويه حتى يستحق أن يمدح . من المعاني التي مدح بها رسول ﷺ الشجاعة والكرم ، وحسن الخلق والخلق يقول حسان بن ثابت :

- ١/ مستشعري حلق الماضيّ يقدمهمم * جلدُ النحيظة ماضٍ غيرُ رعديدٍ
 ٢/ أعني الرسولَ فإن الله فضلُهُ * على البرية بالتقوى وبالجدودِ
 ٣/ ماضٍ على الهول ركابُ لما قطعوا * إذا الكمأة تَمَامُوا في الصناديدِ
 ٤/ مباركٌ كضياءِ البدر صورتهُ * ما قالَ كان قضاءً غيرَ مردودِ
 ٥/ مستعصمين بحبلٍ غيرٍ منجذم * مستحکمٍ من حبالِ اللهِ ممدودِ

اللغة :

الكلمة	معناها
مستشعرين	لابسين ، الشعار الثوب الذي يكون ملاصقاً للجسد
حلق الماضيّ	الدروع التي تلبس في الحرب
النحيظة	خُلِقَ الإنسان وطبيعته التي خلقه الله عليها
رعديد	جبان
البرية	المخلوقات
الكمأة	جمع كميّ : الفارس الشجاع .
الصناديد	جمع صناديد الشجاع
منجذم	منقطع

المعنى :

- ١/ إن الصحابة عندما يخرجون إلى حرب المشركين يلبسون الدروع ، ويقودهم الرسول ﷺ وهو شجاع بمضي إلى الحرب غير هيّاب ولا جبان .
 ٢/ إني أعني بقائد الصحابة رسول الله الذي فضله الله على كل الخلائق بالتقوى وبالكرم .
 ٣/ إنه شجاع ، لا يخاف من الأهوال ، مقدم إذا الفرسان احتفى بعضهم ببعض .
 ٤/ رسول مبارك ، يشبه القمر حسناً، يشع في وجهه نور النبوة ، قوله حكم نافذ ، وقضاء من الله لا يُرد .
 ٥/ إننا مستمسكين بحبل الله المتين ، وهو الدين الإسلامي ، وهو حبل يصلنا بالله سبحانه ، دين باق خالد ، لا ينقطع إلى يوم القيامة .

٣/الرثاء :

لم تمر على المسلمين أحداث رجحتهم رجاً ، مثل وفاة الرسول ﷺ ، وانتقاله إلى الرفيق ، حتى لقد ذهل كبار الصحابة ، وظن بعضهم أن الرسول لم يموت وإنما ذهب إلى ربه يناجيه مثلما ذهب موسى إلى ربه .

ولكن أبا بكر رضي الله عنه ثبت المسلمين وأعاد إليهم إيمانهم بالقرآن ، وبقدر الله وقضائه ، فتلا عليهم قول الله تعالى : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفأين مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين ﴾ .

لقد حزن المسلمون حزناً عميقاً على وفاة رسول الله ﷺ لأنهم افتقدوا بفقده وحي السماء الذي كان يهديهم إلى سبيل الرشاد ، ويبين لهم وجه الحق فيما يعترضهم من قضايا في حياتهم الدنية والاجتماعية ، لذلك لم يكن غريباً أن يكثر الشعراء والشاعرات المسلمات ، وقالوا في رثائه إنهم فقدوا نبياً لم تلد النساء مثله فقد كان وفيّاً رعوفاً بالمسلمين ، كان عادلاً مرشداً .

قال حسان :

- ١/ آليت ما في جميع الناس مجتهداً * مني أليّه برّ غير إفناد
 ٢/ تالله ما حملت أنثي ولا وضعت * مثل الرسول نبي الأمة الهادي
 ٣/ ولا برا الله خلقاً من بريته * أوفى بذمة جبار أو بمعبياد
 ٤/ من الذي كان فينا يستضاء به * مبارك الأمر ذا عدل وإرشاد

اللغة :

الكلمة	معناها
آليت	حلفت ، أقسمت
الآلية	الحلقة واليمين
إفناد	الإفناد العيب والكذب

المعنى :

- ١/ يقسم حسان قسماً جازماً ليس كاذباً ولا معيباً ويقول :
 ٢/ إنه لم تنجب امرأة في الدنيا مثل الرسول الهادي إلى الصراط المستقيم .
 ٣/ ولم يخلق الله مثله حامياً للحجار ، وافياً بالعهد إذا عاهد .
 ٤/ لقد كان الرسول نوراً يضيء مسالك الحياة للناس ، كان عادلاً في حكمه مرشداً إلى الخير .

٤/ المناقصات الشعرية أو النقائض :

المناقضات جمع مناقضة ، والنقائض جمع نقيضه ، والنقيضة في اللغة مشتقة من النقض وهو الهدم يقال : نقض البناء إذا هدمه ، ويقال نقض فلان ما فعله فلان أو قاله : أبطله وأفسده .

والنقيضة في الاصطلاح الأدبي هي : (أن يتجه شاعر إلى آخر بقصيدة هاجياً أو مفتخراً فيعمد الآخر إلى الرد عليه هاجياً أو مفتخراً ملتزماً نفس الموسيقى والقافية^(١) والروي ، فينقض على خصمه كلمه ويهدمه .

إن المعارك الحربية التي دارت بين المسلمين والمشركين دارت إلى جانبها معارك كلامية تبادلها شعراء الفريقين ، فكان كل فريق ينقض على الآخر كلامه ويفسده عليه .

ولما كانت غزوة بدر أهم وأخطر معركة في تاريخ الإسلام لأنها التي هدّت الشرك ، وقوضت دعائمه ، وبها انتصر الإسلام انتصاراً كبيراً ، وهي المعركة التي سماها القرآن (يوم الفرقان) .

إن تبادل الهجاء بدأ من هذه المعركة .

قال عبد الله بن الزبير^(٢) يبكي على قومه الذين قتلوا في بدر بأيدي المسلمين ، ويذكرهم واحداً واحداً :

- | | |
|-----------------------------------|----------------------------------|
| ١/ ماذا على بدر وماذا حَوَّلَهُ | * من فتية بيض الوجوه كرام |
| ٢/ تركوا نبيهاً خلفهم ومُنَّبَهَا | * وابني ربيعة خير خصم فَنَام |
| ٣/ والحارثَ الفياضَ يبرقُ وجهُهُ | * كالبدرِ جَلَى ليلة الإِظلامِ |
| ٤/ والعاصيَ بنَ مُنَّبِهِ ذامِرة | * رُحماً تيمماً غير ذي أوْصامِ |
| ٥/ وإذا بكى باكاً فأعولَ شجوهُ | * فعلى الرئيسِ الماجدِ بنِ هشامِ |

(١) القافية والروي معناهما واحد ، وهو الحرف الذي يكون في آخر كلمة في البيت ، ويلتزمه الشاعر في القصيدة كلها .

(٢) عبد الله بن الزبير شاعر من شعراء قريش في الجاهلية ، كان يهاجي المسلمين ، ثم أسلم وحسن إسلامه ، واعتذر إلى الرسول ﷺ ، وطلب من الرسول يعفو عنه فعفا عنه . توفي سنة ١٥هـ - ٦٣٦م .

اللغة :

الكلمة	معناها
بيض الوجوه	أشراف ، كرام الأصول
الفئام	الجماعة من الناس
الفياض	الكثير العطاء
المرّة	القوة والشدة
تيمماً	طويلاً
الأوصام	العيوب
أعول	رفع صوته بالبكاء
الشجوا	الحزن

المعني :

- ١/ إن الذين قتلوا في بدر كانوا فتيّة أشرافاً من خير رجال قريش
 ٢-٣/ لقد تركت قريش خلفها في بدر خير أبنائها قتلى منهم نبيّه ومنبه ، ومنهم ابنا ربيعة بن عبد شمس (عتبة وشيبة) .
 ٤/ ومنهم العاص بن منبه ، والحارث بن الحضرمي المشهور بشجاعته وكرمه .
 ٥/ الرئيس الماجد هو أبو جهل عمرو بن هشام رأس المشركين في مكة .
 فرد عليه حسان شامتا عليه :

- ١/ ابك بكت عيناك ثم تبادرت * بدم تُعلّ غرؤبها سجّام
 ٢/ ماذا بكيت به الذين تتابعوا * هلاً ذكرت مكارم الأقسام
 ٣/ وذكرت منا ماجداً ذا همّة * سمح الخلائق صادق الإقدام
 ٤/ أعني النبيّ أخوا المكارم والنديّ * وأبرّ من يولي على الإقسام

اللغة :

الكلمة	معناها
تعل	تكرر
الغروب	جمع غرب وهو مجرى الدمع
تبادرت	أسرعت بالدمع
السّجام	السائل
تتابعوا	ألقوا بأنفسهم إلى التهلكة
يولي على الإقسام	يخلف

المعنى :

- ١/ أبك يا بن الزبيرى ، بكت عينك دما متفجرا لا يتوقف .
 ٢/ على من تبكي ؟ أتبكي على الذين تماووا في جنهم ؟ أما كان الأجور بك أن تذكر أولئك القوم الذين تحلوا بمكارم الأخلاق .
 ٣/ أما كان الأجدد بك أن تذكر ذلك الرجل الشجاع ، ذا الأخلاق الكريمة .
 ٤/ إنه النبي الكريم الذي إذا أقسم على شيء أبر قسمه ؟
 وقال ضرار بن الخطاب^(١) يهدد المسلمين ويخص الأوس بأنهم إذا فخرُوا بانتصارهم في بدر ، فإن الأيام دول ، وإن الدهر متغلب ، وسيأتي اليوم الذي ينتقم فيه المشركون من المسلمين ومن الأنصار على وجه الخصوص .

قال :

- ١/ عجبْتُ لفخر الأوس والحينُ دائرُ * عليهم غداً والدهرُ فيه بصائرُ
 ٢/ وفخر بني النجار إن كان معشرُ * أصبوا بيدر كلهم ثم صابرُ
 ٣/ فإن تكُ قتلى غودرت من رجالنا * فإننا رجالٌ بعدهم سنغادرُ
 ٤/ فتركُ صرعى تعصب الطير حولهم * وليس لهم إلا الأمانى ناصرُ
 ٥/ وتبكيهم من أهلٍ يثرب نسوة * لهنّ بها ليل عن النوم ساهرُ

اللغة :

الكلمة	معناها
الأوس	إحدى قبيلتين تسكنان المدينة ، والأخرى الخزرج ، وبنو النجار جزء من الأوس .
الحين	الموت
تعصب الطير	تجتمع جماعات جماعات عليهم

المعنى :

- ١/ إنني أعجب لفخر الأوس بانتصارهم في بدر ، وكيف يفخرون والموت دائر بين الناس ، والزمن دائر أيضاً بين الناس ، وفي الدهر عظة لمن يتعظ .

(١) ضرار بن الخطاب : من شعراء قريش ، ومن فرسانها ، شهد بدرًا ولكنه نجح من القتل ، ثم أسلم يوم فتح مكة وحسن إسلامه وخرج مجاهدًا في سبيل الله حتى استشهد في موقعة أجنادين . توفي سنة ١٣هـ - ٦٣٤م وأجنادين موضع بناوحي فلسطين . دارت فيه معركة كبيرة بين المسلمين والروم .

- ٢/ لا يفخر بنو النجار بانتصارهم ، فنحن صابرون على ما أصابنا حتى نأخذ بثأرنا منهم .
 ٣/ إن الموت في الحرب ليس عيباً لأنه ليس هناك إنسان مخلد في هذه الحياة ، كل الناس سيغادرونها يوماً ما .
 ٤/ ولكننا قبل أن نغادر الحياة ، سنتقم لهزيمتنا بيدر ، وستترك الأوس قتلى مبعثرين في الفضاء
 تجتمع عليهم الطير تنهش لحومهم . ولا يجدون لهم ناصراً .
 ٥/ وستبكي عليهم زوجاتهم وبناتهم وأخواتهم طوال الليالي .
 فرد عليه كعب بن مالك وهو من قبيلة الخزرج قائلاً :

- ١/ عجبْتُ لأمرِ اللهِ واللهِ قَادِرٌ * على ما أَرَادَ ليس اللهُ قَاهِرٌ
 ٢/ قضى يومَ بدرٍ أن نَلَاقِيْ معشراً * بَعَوَا وسَلِيلُ البغي بالناسِ حَائِرٌ
 ٣/ وقد حَشَدُوا واستنَفَرُوا مَنْ يَلِيهِمْ * من الناسِ حتى جَمَعَهُمْ متَكَاثِرٌ
 ٤/ وسارتْ إلينا لا تحاولُ غيرَنَا * بأجمعها كعبٌ جميعاً وعامرٌ
 ٥/ وفينا رسولُ اللهِ والأوسُ حَوْلَهُ * له مَعْقَلٌ منهم عزيزٌ وناصرٌ
 ٦/ وجمعُ بني النجارِ تحتَ لوائِهِ * يَمْشُونَ في المَاضِي والنَّقَعِ نَائِرٌ
 ٧/ شهدنا بأنَّ اللهَ لا رَبَّ غَيْرُهُ * وأنَّ رسولَ اللهِ بالحقِّ ظاهِرٌ
 ٨/ فكَبَّ أو جهلَ صريعاً لوجهِهِ * وعتبةٌ قد غادرته وهو عائرٌ
 ٩/ فأَمْسَوْا وقودَ النارِ في مستقرِّها * وكلَّ كفورٍ في جهنمِ صائرٌ

اللغة :

الكلمة	معناها
بغوا	ظلموا
استنفروا	استنجدوا
كعب وعامر	من القبائل التي خرجت مع قريش لقتال المسلمين
المعقل	الموضع المحصن الممنع
يمشون	يمشون في سرعة وعجلة إلى القتال
الماضي	الدروع الجيدة
النقع	الغبار الذي تثيره الحرب
كب	أسقط على وجهه
عائر	ساقط على الأرض

المعنى :

- ١/ يعجب لإرادة الله التي لا راد لها ، لأن إرادة الله قاهرة .
- ٢/ فقد قضى الله أن نلاقي هؤلاء القوم الذين طغوا وتجبروا .
- ٣/ جمعوا جمعاً كثيرة من القبائل وساقوهم لقتالنا .
- ٤/ ساروا قاصدين حربنا ، لا يريدون غيرنا ، والتفت حولهم قبائل كعب وعامر .
- ٥/ إذا كانوا يريدون رسول الله ﷺ فليعلموا أن رسول الله في مكان حصين عزيز لا ينال ونحن الأنصار حماته .
- ٦/ إن جموع بني النجار يسيرون للقتال تحت لوائه صلى الله عليه وسلم وهم كاملو السلاح ، يلبسون الدروع ، ويخوضون المعارك تحت عجاجها .
- ٧/ نحن قوم مؤمنون نشهد بوحدانية الله ولا نشرك به غيره مثلكم ، ونشهد أيضاً أن محمداً رسول أرسله الله بالحق ، وسوف نتصبر به عليكم .
- ٨/ لقد قتلنا أبا جهل فخر صريعاً على وجه معفراً بالتراب ، كما تركنا عتبة صريعاً مثل أبي جهل .
- ٩/ أن قتلى بدر صاروا حطباً لنار جهنم ، فهي مصيرهم الأبدي .

ملاحظات على النقيضة :

- ١/ استخدم كعب نفس (البحر) ونفس القافية ، فإن قافية ضرار هي الراء ، وقافية كعب هي الراء أيضاً .
- ٢/ نقض كعب المعاني التي ذكرها ضرار في قصيدته .
- ٣/ ذكر كعب قريشاً بقتلاها وذلك مما يثير أحرانها وأوجاعها .
- ٤/ زاد كعب على ذلك تذكير قريش بالفرق بين المسلمين وبين قريش ، وهذا الفرق هو أن المهاجرين أوسهم وحز رجهم آمنوا بالرسول ﷺ وشهدوا بالتوحيد ، وأنهم حموا رسول الله بينما آذاه المشركون وأخرجوه من دياره . وعندما أسلم من قريش كان هجاء الشعراء المسلمين لهم بالكفر والشرك وإيذاء الرسول أشد عليهم من الهجاء بالجبين والفرار .
- ٥/ أن الروح الإسلامية واضحة في شعر كعب .

٥/ الرثاء :

الرثاء وهو البكاء على الميت مع تعديد محاسنه ويكون الرثاء شعراً كما يكون نثراً .
والرثاء عاطفة إنسانية مبعثها الحزن على المتوفى فهو يختلف من هذه الناحية عن المدح ، وكلما
كان المتوفى عزيزاً قريباً كانت المرثاة صادقة حزينة .

(أ) رثاء الرسول ﷺ :

لقد رثى المسلمون الرسول ﷺ حين انتقل إلى الرفيق الأعلى فافتقدوا فيه القائد والمرشد
وافتقدوا الحبيب الرفيق الرحيم لذلك ذرفوا عليه الدمع سخياً حاراً.

قال حسان بن ثابت :

١/ نَبَّ الْمَسَاكِينَ أَنَّ الْخَيْرَ فَارَقَهُمْ	*	مع النبي تولى عنهم سحرًا
٢/ من ذا الذي عنده رَحْلِي وراحلتي	*	وزرق أهلي إذا لم يُؤنِسوا المطرًا
٣/ أم من نعاتبُ لا نخشى جَنَادَعَهُ	*	إذا اللسانُ عتا في القول أو عَثْرًا
٤/ كان الضياءَ وكان النورَ نتبعه	*	بعد الإله وكان السمعَ والبصرًا

اللغة :

الكلمة	معناها
نَبَّ	أصلها نَبِيٌّ : أي أخبر ، حذف الهمزة تسهلاً
لم يؤنِسوا	لم يحسوا بالمطر
الجنادع	أوائل الشر
عتا	زاد وطمغى

المعنى :

١/ أخبر المساكين والفقراء الذين كان رسول الله يتفقد أحوالهم ، ويعينهم عندما كان المطر
ينحبس وتجذب الأرض ، فلا يجدون ما يعيشون به ، في مثل ذلك الوقت كان
رسول الله ﷺ يعين المساكين ويطعمهم ، أما الآن فمن مثل رسول الله يعينهم على
مشقات الحياة .

٢/ يقول حسان إنه كان يعتمد بعد الله على رسول الله في حياته ، فكان يعطف عليه ويبره .
٣/ يصف حسان رسول الله بالحلم الواسع ، فلم يغضب إذا أسىء إليه ، وإنما كان يغضب
إذا انتهكت حرمة الله .

٤/ كان الرسول نوراً يهدي إلى الله ، وكان ملء السمع والبصر .

(ب) رثاء الشهداء :

كان عزيزاً وأليماً على المسلمين أن يفقدوا بطلاً من أبطالهم ، فكان الشعراء يعبرون عن هذا الألم والفقد تعبيراً صادقاً .

استشهد في غزوة مؤتة ثلاثة من خيار الصحابة رضوان الله عليهم هم زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله ابن رواحه ، فكان وقع استشهادهم على نفس الرسول والصحابة شديداً فرثاهم حسان بقصيدة باكية دامعة .قال:

- ١/ رأيتُ خيارَ المؤمنين توارَدوا * شعوبَ وقد خُلِفَتْ فيمن يُؤخِرُ
 ٢/ فلا يُعِدُنَّ اللهُ قتلِي تتابعوا * بمؤتةٍ منهم ذو الجناحين جعفرُ
 ٣/ وزيد وعبدُ اللهِ حين تتابعوا * جميعاً وأسبابُ المنيّةِ تخطِرُ
 ٤/ غداةَ مَضَوْا بالمؤمنين يقودُهُم * إلى الموتِ ميمونُ النقيبةِ أزهرُ
 ٥/ وأغرُّ كضوءِ البدرِ من آلِ هاشمٍ * أيُّ إذا سيمِ الظلّامةِ مجسّرُ
 ٦/ فطاعنٍ حتى مالٍ غيرِ مرسدٍ * بمعتركٍ فيه القنا يتكسرُ
 ٧/ فصار مع المستشهدين ثوابه * جنانٌ ومُلتفتُ الحدائقِ أخضرُ

المعني :

الكلمة	معناها
تواردوا	تبع بعضهم بعضا
لا يبعدين الله	دعاء للشهداء
ذو الجناحين	جعفر بن أبي طالب
تخطر	تروح وتنجئ
ميمون النقيبة	سعيد الأخلاق
أزهر	ليس فيه ما يسود وجهه
أغر	جميل
سيم الظلّامة	أريد به الظلم
مجسر	شجاع جسور
المعترك	مكان المعركة

المعني :

- ١/ علمتُ أن خيار الصحابة قد تقدموا للموت بقلوب ثابتة ورجولة فذة ، ولكني تأخرت عنهم فلم أنل من الشهادة ما نالوا .
- ٢/ لا أبعدهم الله عنا ، فقد تتابعوا في الشهادة الواحد بعد الآخر ، وهؤلاء النفر الكرام هم ، جعفر بن أبي طالب الذي كان يحمل راية رسول الله بيده ويقاوم بسيفه باليد الأخرى فلما قطعت اليد التي كانت تحمل الراية أمسك الراية بيده الأخرى فقطعت ، فاحتضن الراية بصدره حتى استشهد فأبدله الله بهما جناحين يطير بهما في الجنة حيث يشاء .
- ٣/ زيد هو زيد بن حارثة ، وكان رسول الله ﷺ يجبهه ، فإذا أرسله في جيش جعله أمير الجيش . أما عبد الله فهو عبد الله بن رواحه الذي تقدمت ترجمته ، أحد شعراء الرسول الثلاثة المشهورين .
- ٤/ كان يقود الجيش رجل محمود الأخلاق والمعشر ليس فيه ما يعاب .
- ٥/ شاب جميل الطلعة مثل ضياء القمر بهاء لأنه من آل هاشم بن عبد المطلب ، شجاع لا يقبل الضيم جسور مقدام .



٤ / الشعر في عهد الخلفاء الراشدين

كان أقصى ما وصلت إليه جيوش المسلمين في حياة رسول الله ﷺ أطراف الشام الجنوبية حيث دارت موقعة مؤتة .
ثم توالى الفتوحات في عهد الخلفاء الثلاثة الأول أبي بكر وعمر وعثمان فوصلت شمالاً إلى مشارف القسطنطينية وشرقاً حتى خرسان ، وغرباً حتى شمالي إفريقيا ، وجنوباً إلى السودان .
كل تلك الفتوحات كانت في فترة زمنية لم تتعد خمساً وثلاثين سنة . كانت تلك الفتوحات غنية بالشعر الحماسي الجاد لقد ظهرت في تلك الفترة موضوعات متعددة أهمها :

١ / تصوير المعارك :

هذا شاعر يدعى قيس بن مكشوح المرادي^(١) يصور معركة القادسية ، وهي المعركة التي قصمت ظهر الدولة الكسروية .

- | | | |
|-------------------------------|---|---------------------------|
| ١ / جلبت الخيل من صنعاء تردى | * | بكل مدحج كالليث سامي |
| ٢ / إلى وادي القرى فديار كلب | * | إلى اليرموك فالبلد الشامي |
| ٣ / وجئن القادسية بعد شهر | * | مسومة دوابرها دوامى |
| ٤ / فناهضنا هنالك جمع كسري | * | وأبناء المرازبة الكرام |
| ٥ / فلما أن رأيت الخيل جالت | * | قصدت لموقف الملك الهمام |
| ٦ / فأضرب رأسه فهوى صريعاً | * | بسيف لا أفل ولا كهام |
| ٧ / وقد أبلى الإله هناك خيراً | * | وفعل الخير عند الله نامي |

اللغة :

^(١) قيس بن مكشوح شاعر مخضرم ، كان سيد قبيلته في الجاهلية أسلم فصار صحابياً ، شجاع فارس ، حاض كثيراً من حروب المسلمين مع الفرس والروم ، وأبلى في القادسية بلاء حسناً . توفي سنة ٣٧هـ - ٦٥٧م . الأعلام ٢٠٩/٥ .

الكلمة	معناها
جلبت	سقت الخيل من صنعاء
تردي	تسرع
مدحج	الفارس المدحج : الكامل السلاح
الليث	الأسد
سام	عال
وادي القرى واديار كلب	مواقع في شمال جزيرة العرب
اليرموك	بلد في الشام
مسومة	معروفة بأصالتها وكرمها
دوابرها	القروح التي تكون في ظهر الدابة من كثرة السير والركوب
دوامي	دامية
ناهضنا	قاومنا وقاتلنا
المرازبة	جمع المرزبان وهو الرئيس من الفرس
جالت	حامت وسط الصفوف في المعركة
صريعاً	ميتاً
أفل	غير مكسور
كهام	السيف غير المسنون
أبلى	امتحن

المعني :

- ١/ يفتخر الشاعر بأنه جاء بالخيل من أقصى جنوب الجزيرة ، على ظهورها فرسان كالأسود شجاعة ، استكملوا أسلحتهم استعداداً للحرب .
- ٢/ مرت هذه الكتيبة من الفرسان على وادي القرى وقبائل كلب حتى وصلت إلى الشام .
- ٣/ ومن الشام اتجهت شرقاً إلى القادسية التي وصلتها بعد شهر كامل من خروجها من اليمن ، وقد تعبت الخيل من هذه الرحلة الطويلة ، وقرحت ظهورها ، ولكنها خيل كريمة صابرة على التعب .
- ٤/ وهناك في القادسية التقوا بجيوش كسرى التي خرج فيها عظماء الفرس .
- ٥/ ولما دخلت المعركة بحثت عن قائد الفرس ، وكان قائدهم في تلك المعركة (رستم) .
- ٦/ اتجهت إليه وضربته بالسيف حتى ألقته صريعاً .

٧/ إن الله قد اختبر جنده في ذلك اليوم ، فلما رأهم قد صدقوا القتال أنزل عليهم نصره المبين، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

٢/ الرثاء :

(أ) رثاء الشهداء :

في رثاء الشهداء تمجيد لهم ، وإشادة ببطولتهم ، ويغلب على معاني الرثاء الحزن والأسف على فقد أولئك الأبطال ثم الرضا بقضاء الله والتسليم به ، والعزاء بأن الله أعد لأولئك الشهداء الجنة .

قال أحد الشعراء رثياً للشهداء الذين استشهدوا في القادسية ودفنوا في موضع يسمى مُشَرَّق .

- ١/ جزى الله أقواماً بجنب مشرق * غداة دعا الرحمن من كان داعياً
٢/ جنانا من الفردوس والمترل الذي * يجل به من الخير من كان باقياً

اللغة :

الكلمة	معناها
م الخير	أي من الخير ، وحذفت نون من أجل موسيقى البيت

المعنى :

- ١/ يدعو الشاعر لأولئك الشهداء الذين دعوا الله أن يرزقهم الشهادة فاستجاب لهم .
٢/ وأثابهم على شهادتهم جنات الفردوس ، حيث أكرم نزلهم .

(ب) رثاء الخلفاء :

إلى جانب رثاء الشهداء ، كان هناك رثاء الخلفاء لأن فقد خليفة المسلمين لم يكن أمراً سهلاً ، وخاصة الخلفاء الراشدين . فهذا عمر بن الخطاب رثته حفيدته عاتكة بنت زيد بن عمر بن الخطاب قاتلة :

- ١/ عين جودي بعبرة ونحيب * لا تملني على الإمام النجيب
٢/ فجعتني المنون بالفارس المعلم * يوم الهياج والتلييب
٣/ عصمة الناس والمعين على الدهر * وغيث المنتاب والمحروب

اللغة :

الكلمة	معناها
--------	--------

النحيب	البكاء بصوت مرتفع
النحيب	الفاضل على غيره
المعلم	الفارس الشجاع
التليب	القتال
المنتاب	المحتاج الذي يقصد الناس للعطاء
المحروب	من أفقدته الأيام ماله

المعني :

- ١/ تطلب من عينها أن تسكب الدمع غزيراً ، وتنوح على ذلك الإمام الذي فضل على الناس في زمنه .
- ٢/ إن الموت فجيعي أليمة بأخذه ذلك الإمام الفارس الذي يهابه الناس يوم تشب الحرب التي تلتحم فيها الصفوف .
- ٣/ لقد كان عمر عاصماً للناس من الفقر والمجاعة ، وكان معيناً لهم على الضراء ، وكان يغيث من يقصده من المحتاجين ، والفقراء .



٥/ النثر في عهد الرسول ﷺ وخلفائه

كان نزول القرآن الكريم على الرسول الأمين نقطة تحول حاسمة في النثر العربي ، فاختمت سجع الكهان واختفت المنافرات والمفاخرات التي كانت تؤدي إلى الحروب الطاحنة التي شهدتها العصر الجاهلي .

لقد أثر القرآن بأسلوبه الفذ المعجز في النثر فاتجه النثر وجهة جديدة تمثلت في نوعين من أنواعه هما : الحديث النبوي الشريف ، والخطابة الجهادية والدينية

الحديث النبوي :

يعد الرسول ﷺ أفصح من تكلم باللغة العربية في تاريخها الطويل الممتد من العصر الجاهلي وحتى اليوم وما بعد اليوم .

١/ الحديث :

ولذلك كان حديثه أبلغ أنواع النثر العربي ، لأنه صلى الله عليه وسلم أوتي (جوامع الكلم) أي أنه كان كثير المعاني قليل الألفاظ . ومن دلائل بلاغته:

١/ أنه لم يكن يتكلف الكلام ، ولا يستكرهه ولا يتصنع له ما يتصنعه المتكلمون في أحاديثهم .

٢/ أنه لم يكن يستعمل الألفاظ الخشنة الوعرة التي تحتاج إلى كد الذهن في البحث عن معانيها، فكل كلامه سهل يفهمه أقل الناس ، ويعجز عن بلوغ فصاحته أفصح الناس . قال الجاحظ عن حديث رسول الله ﷺ : " هو الكلام الذي قل عدد حروفه ، وكثير عدد معانيه ، وجل عن الصنعة ، وتتره عن التكلف " .

٣/ إن أحاديثه كانت قصيرة موجزة في الموضوع الذي يحتاج إلى الإيجاز ، كل ذلك بالقدر الذي يبلغ به غرضه ، ويتطلبه الموقف لذلك كان يكره الإطالة في الكلام بما يجاوز القدر المراد . ذكروا أن رجلاً تكلم عنده فأطال الكلام ، فقال النبي ﷺ : " كم دون لسانك من حجاب ؟ قال شفتاي وأسناني ، فقال له : ففيم الانبعاق ؟ " (١)

٤/ أنه صلى الله عليه وسلم ، كان يستخدم من الكنايات والتعابير البليغة ما لم تستعمله العرب قبل ذلك ، ولكنها لم تنكره وإنما أعجبت به ، وأشادت ببلاغة من ذلك قوله :

(١) الانبعاق : الاندفاع في الكلام الذي يؤدي إلى الخطأ .

"حمي الوطيس" : قال ذلك يوم حنين ، عندما اشتد القتال وحميت الحرب ، قالوا: " هي كلمة لم تسمع إلا منه ، وهو من فصيح الكلام " .

٢ / الخطب :

من خطب الرسول ﷺ خطبته يوم فتح مكة ، وقف رسول الله ﷺ على باب الكعبة وقال : " لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده . ألا كل مأثرة^(١) أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين ، إلا سدانة^(٢) البيت وسقاية الحاج . ألا وقتل الخطأ مثل العمد بالسوط والعصا ففيها الدية مغلظة . يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة^(٣) الجاهلية وتعظمها بالآباء ، الناس من آدم ، وآدم خلق من تراب . ثم تلا : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ . يا معشر قريش ! ما ترون أي فاعل بكم ؟ قالوا خيراً أخ كريم وابن أخ كريم قال : " اذهبوا فأنتم الطلقاء " .

خصائص خطبه :

١ / أنها تمتاز بالإيجاز والاختصار اللذين أشرنا إليهما فيما قبل .
٢ / أنه كان ينوع افتتاحيات خطبه ، فمرة يبدؤها بحمد الله والثناء عليه بما هو أهله ، ومرة يبدؤها بتوحيد الله وتزيهه عن الشبيه والشريك ، وقد صار هذا الافتتاح سنة متبعة في افتتاح الخطب والكلام . وقد افتتح هذه الخطبة بتوحيد وتزيهه ، فالله سبحانه كان قد وعد نبيه بأنه سيدخله والمسلمين البيت الحرام ، ووعدته بأنه سينصره على أعدائه ، وأنه سيجعل جند المسلمين أعزة على الكافرين ووعدته بأنه سيهزم الأحزاب التي تجمع من المشركين واليهود ، ومن تابعهم . وجاءوا إلى المسلمين ليحاصروهم في المدينة ، فأرسل الله عليهم ريحاً وجنوداً ، فانهزموا شر هزيمة
٣ / ألغى الرسول كل المفاخر التي كانت تفتخر بها العرب وقريش في الجاهلية ، مثل الاعتزاز بالأحساب والأنساب والافتخار بلعب الميسر ، وشرب الخمر ، ولم يستثن إلا شيتين

(١) المأثرة : المكرمة .

(٢) السدانة : خدمة الكعبة .

(٣) النخوة : العظمة والتكبر .

كانت قريش تفخر بهما هما: خدمة الكعبة بغسلها وكنسها ، وما كانت تفعله في اليوم الثامن من شهر ذي الحجة ، فقد كانت قريش تملأ حياضاً واسعة بالماء المخلوط بالزبيب ليشرّب منه الحجاج ويملثون قريشهم ويحملونها إلى منى وعرفة . أما ما عدا هاتين فقد ألغاه الإسلام .

٤/ أكد ما جاء به القرآن من المساواة بين الناس فذكر أن العرب والعجم ، والحمر والسود كلهم متساوون ولا يتفاضلون إلا بالتقوى .

٥/ لقد ظهرت عظمة أخلاق الرسول عندما لم يعاقب قريشاً على ما فعلته به والمسلمين عندما كانوا ضعفاء في مكة ، وإنما ساءحهم وأطلقهم . ولقد كان في وسعه أن يأمر بقتلهم جزاء ما فعلوه به ، ولكنه الرسول الكريم الرؤوف الرحيم .

٦/ خلت هذه الخطبة من الكلمات الصعبة ، فقد جاءت كل كلماتها سهلة النطق ، سهلة الفهم .

٧/ كان يستشهد في خطبه بالقرآن الكريم ، قرأ في هذه الخطبة الآية التي تؤكد المعنى الذي ذكره في خطبته وهو المساواة بين البشر جميعاً .

٨/ خلت الخطبة من السجع والمحسنات البديعية .

٣/ الرسائل :

بعد أن استقرت حكومة الرسول ﷺ في المدينة المنورة ، بادر الرسول بالكتابة إلى الدول المجاورة له ، وإلى الأطراف البعيدة عن المدينة . فكتب عدة رسائل إلى الملوك والأمراء في فارس والشام واليمن ومصر ، يدعوهم فيها إلى الإسلام ونبذ الديانات الوثنية أو السماوية المخرفة .

(أ) رسالته إلى هرقل عظيم الروم :

(بسم الله الرحمن الرحيم .

من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم .

سلام على من اتبع الهدى .

أما بعد : فإنني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم ، وأسلم يؤتكَ الله أجرك مرتين ، فإن توليت فعليك إثم الأريسيين^(١) ﴿ يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أمرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ .

(١) الاريسيون : الفلاحون والعمال .

(ب) رسالته إلى المقوقس :

(بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى المقوقس عظيم القبط .

سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فإني أدعوك إلى الإسلام ، أسلم تسلم يؤتتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فعليك إثم القبط ﴿ يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ .

(ج) رسالته إلى كسرى :

(بسم الله الرحمن الرحيم ،

من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله . أدعوك بدعاية الله ، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، أسلم تسلم ، فإن أبيت فعليك إثم الجوس) .

١/ يلاحظ على هذه الرسائل ما لاحظناه على خطبه صلى الله عليه وسلم من الإيجاز البليغ الذي يؤدي المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة ، فهذه الرسائل الغرض منها إبلاغ رسالة الإسلام إلى العالم من حوله ، فلذلك جاءت موجزة ، (أسلم تسلم) تحمل هذه العبارة التي تكررت في بعض رسائله ، الدعوة الهادئة والتهديد الواضح (تسلم) أي تسلم مما يترتب على عدم الإسلام .

كما أنها تحمل هؤلاء الملوك والقيصرة تبعه الحيلولة بين شعوبهم والإسلام .

٢/ لا تكاد تخلو رسالة من رسائله من القرآن الكريم ومعانيه ، وهو طابع الرسائل في هذا العصر .

٣/ ليس للمحسنات البديعية أثر في هذه الرسائل .



٦ / النشري عهد الخلفاء الراشدين

لقد ترسم النشري في عهد الخلفاء الراشدين الأربعة خطاً نشر الرسول ﷺ من حيث الفصاحة والبلاغة واستمدادهم معانيهم من القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ وخطبه ، ومن حيث الإيجاز البليغ .

الخطابة :

عندما اختار الصحابة رضوان الله عليهم أبا بكر خليفة لرسول الله ، كان أول ما قاله خطبته التي وضع فيها سياسته التي سببها .

قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

" أيها الناس إني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن رأيتُموني على حق فأعينوني ، وإن رأيتُموني على باطل فسدّدوني ، أطيعوني ما أطعت الله فيكم ، فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم ، ألا إن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له وأضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه ، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم " .

١ / رسم أبو بكر في هذه الخطبة الدستور الذي سيسير عليه ، وأول ما في هذا الدستور أنه يقرر أمراً في غاية الأهمية وهو أنه لم يفرض نفسه على الرعية ولذلك استخدم الفعل المبني للمجهول (وليت) أي أن الصحابة هم الذين ولوه هذا الأمر .

٢ / أنه ليس خير الصحابة ، وإنما هو واحد منهم لا يفضلهم بشيء .

٣ / أنه يقرر صفة من صفات من ولي أمر المسلمين وهي طاعة الله ، إن كل حاكم مسلم عليه أن يقيم حكمه وولايته على الطاعة المطلقة لله تعالى ، ومن هنا يجب على الرعية أن تطيعه مادام هو طائعاً لله ، أما إن عصى الله فإن البيعة تنتحل .

٤ / العدل المطلق ، والوقوف إلى جانب الضعفاء والأخذ لهم بحقوقهم من الأقوياء لأن الأقوياء ضعفاء أمام الحق ، والضعفاء أقوياء أمام الحق ، وهو يقف مع الضعفاء .

عندما تولى عمر بن الخطاب الخلافة ، صعد المنبر في مسجد الرسول ﷺ فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله وقال : (اقرعوا القرآن تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله ، إنه لم يبلغ حق ذي حق أن يطاع في معصية الله ألا وإني أنزلت نفسي من مال الله بمتزلة وإلي

اليتيم ، إن استغثت عفت وإن افتقرت أكلت بالمعروف ، تقرم^(١) البهمة^(٢) الأعرابية ، القضم^(٣) لا الخضم^(٤) .

١/ يسير عمر رضي الله عنه بسيرة أبو بكر ، موضحاً سياسته التي سيسير عليها ومبيناً أن بلوغ الحق في الحكم وفي غير الحكم ، لا يكون إلا بطاعة الله .

٢/ أنه يوضح سياسته إزاء مال الدولة ، فهو لا يأخذ منه إلا بالقدر الذي يكفيه ، مستصحباً التوجيه القرآني الكريم الذي أشارت به الآية الكريمة لمن يتولى مال اليتامى : (فإن آنتم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبروا ، ومن كان غنياً فليستعفف ، ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف) .

وقد التزم عمر بهذه السياسة الاقتصادية في نفسه وفي أسرته .

سارت خطب الخليفين الراشدين من بعده على هذا النهج ، خطب تنهل من معين

القرآن الكريم أسلوباً ومعان .

لقد تنوعت موضوعات الخطابة في هذا العهد الكريم تنوعاً كبيراً فإلى جانب الخطب السياسية كانت هناك الخطب الدينية ، وأبرزها خطب الجمعة ، وكانت هناك أيضاً الخطب الحربية التي كان الخلفاء والقواد يلقونها على جيوش المجاهدين قبل اندفاعهم إلى الجهاد .

كان عمر بن الخطاب يقول عندما يخرج الجيش للجهاد (بسم الله وبالله وعلى عون الله ، امضوا بتأييد الله وما النصر إلا من عند الله ، ولزوم الحق والصبر ، فقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله ، ولا تعتدوا ، إن الله لا يحب المعتدين ولا تجبنوا عند اللقاء ، ولا تمثلوا عند المقدرة ، ولا تسرفوا عند الظهور ، ولا تقاتلوا هراً ولا امرأة ولا وليداً وتوقوا قتلهم إذا التقى الزحفان ، وعند شن الغارات) .

اللغة :

معناها	الكلمة
التمثيل بالقتيل أن تقطع أجزاء من جسمه كأن تقطع أنفه أو تبقر بطنه ، فقد نهي الرسول ﷺ عن المثلة (بفتح الميم وضم الناء وفتح اللام)	لا تمثلوا
الغلبة أي لا تسرفوا في القتل إذا ظفرتم بعدوكم وهزمتموه	الظهور
صبها عليهم من كل وجه	شن الغارة

(١) التقرم : الأكل الضعيف .

(٢) البهمة : أولاد الضأن والمعز .

(٣) القضم : الأكل بأطراف الأسنان .

(٤) الخضم : الأكل بأقصى الأضراس .

المعني :

- ١/ لقد وضعت هذه الخطبة قانون الحرب الإسلامية فهي حرب باسم الله وبعونه .
 - ٢/ تأكيد أن النصر ليس بكثرة العدد والعتاد ، وإنما النصر من عند الله ، فلا يغتر المجاهدون ويحسبوا أنهم انتصروا بقوتهم وكثرتهم وشجاعتهم .
 - ٣/ النهي عن التمثيل بالقتلى ، وعن قتل الشيخ الكبير والمرأة والطفل .
- هذه الأسس الرفيعة ، وهذه التوجيهات النبيلة لم تصل إليها الحروب الحديثة التي لا تفرق بين من يحملون السلاح ويقاتلون وبين النساء والأطفال والشيوخ .

٢/ الرسائل :

عندما توفي رسول الله ﷺ ارتد كثير من العرب عن الإسلام ، فلما تولى أبو بكر الخلافة ، أمر بإعداد الجيوش لمحاربة المرتدين الذين رفضوا أن يؤدوا الزكاة فقال أبو بكر : (والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه) . فأرسل إلى المرتدين جيشاً من المهاجرين والأنصار وأرسل معهم رسالة عامة يقول فيها :

(بسم الله الرحمن الرحيم ، من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى من بلغه كتابي هذا من عامة وخاصة ، من أقام على إسلامه أو رجع عنه .

سلام على من اتبع الهدى ، ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعمى .. أما بعد : فإن الله أرسل محمداً بالحق من عنده إلى خلقه بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين .. فقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقرّ بالإسلام وعمل به اغتراراً بالله وجهالة بأمره وإجابة للشيطان .. وإني قد أنفذت إليكم فلانا في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان ، وأمرته ألا يقاتل أحداً ولا يقتله حتى يدعوهم إلى داعية الله فمن استجاب له وأقر وكفّ وعمل صالحاً ، قبل منه وأعانه عليه ، ومن أبي أمرته أن يقاتله على ذلك . . . ولا يقبل من أحد إلا الإسلام فمن اتبعه فهو خير له ، ومن تركه فلن يعجز الله) .

- ١/ هذه الرسالة أشبه بمنشور قوي صارم ، لأن ما حدث من ارتداد بعض القبائل كان أمراً خطيراً إن ترك فسيستشري وتعم الردة قبائل العرب وتعود الجاهلية كما كانت قبل الإسلام ، لذلك كان لابد من مواجهة الأمر بمثل هذا الحسم .
- ٢/ سارت الرسالة على نهج رسائل الرسول بل اقتبس أبو بكر عبارات الرسول وكلماته .

- ٣/ عبارات الرسالة قوية قاطعة .
- ٤/ دعاهم إلى الرجوع إلى الإسلام فإن أبوا فهو القتل دون تردد .
- ٥/ لا يقبل من أحد غير الإسلام .
- ذلك هو النثر في عهد الرسول ﷺ ، وفي عهد خلفائه الراشدين ، نثر يختلف اختلافاً كبيراً عن نثر الجاهليين المشحون بالسجع والمحسنات . لقد وضع الإسلام أساساً للحياة الأدبية في شعرها ونثرها .

